الاستعمار البريطاني للصين في القرن التاسع عشر

أ. م. د. إلهام محمود كاظم
جامعة الكوفة – كلية التربية للبنات

المقدمة

الصين دولة قديمة لها دورا مهما في حضارة العالم القديم والفكر الإنساني، وهي ذات مساحة واسعة تبلغ حوالي تسعة ملايين وستمائة ألف كيلومتر مربع، وموقع جغرافي متطرف في أقصى الشرق جعلها في مأمن من المؤثرات الخارجية، كما تمتاز بتنوع ظواهرها الطبيعية إذ لم تكن في حاجة إلى تجارة خارجية وشراء سلع من الدول الأوربية التي حاولت الاتصال مع الصين ت من خلال التبادل التجاري (1).

ومنذ القرن الرابع عشر حاولت البرتغال فتح علاقات دبلوماسية مع الصين.. ففي سنة 1522 وصل افونسو ماوتنزدي مللو على متن باخرة لدخول شواطئ الصين الجنوبية إلا إن محاولته بآت بالفشل إذ هوجمت باخرته واضطر إلى العودة إلى بلاده .. وبعد ثلاثين عاما أي في سنة 1552عاودت البرتغال محاولاتها بإرسال بعثة لدخول شواطئ الصين الجنوبية إلا إنها فشلت أيضا وعادت البعثة أدراجها(2).

وفي سنة 1557 أرسلت البرتغال سفيرها (متللو سوزا أي مينسيز) إلى بكين وقد صدر إليه الإذن بدخول المدينة مع اخذ الاحتياط من طموحات البرتغاليين الذين يدعون، في كل ارض ينزلون فيها، بأن لهم الحق في الملاحة بالبحار الشرقية واحتكارها والنزول إلى أي منطقة مناسبة لبناء حصن واتخاذ منطقة مملوكة لهم والاتجار من تلك القاعدة .وهذا ما حصل عندما قام رجال من البعثة بناء قلعة على شواطئ الصين الجنوبية وبالتحديد في منطقة (اما كاو) التي تعرف ألان مكاؤ (وهي شبه جزيرة تابعة في نظامها إلى مدينة كانتون) بعد رفع الرسوم المقررة للسلطات المحلية في كانتون(3) .

واضمحلت قوة البرتغاليين بالمحيط الهادي في حوالي الربع الأول من القرن السابع عشر عندما تمكن الهولنديون من طرد البرتغاليين من أمبوبنا في 1605، بعد أن توجه أسطول هولندي إلى شبه جزيرة مكاؤ لطرد البرتغاليين منها . ورغم فشل الحملة الهولندية إلا إن لها نتائج مهمة أدت إلى إقامة علاقات وثيقة مع الصين وتقليص النفوذ البرتغالي فيها (4).

في نفس الوقت حصل أتفاق ثنائي بين الهولنديين والانكليز وبالتحديد في سنة 1619. تم الاتفاق فيه على احتلال إحدى جزر الصين الجنوبية وإجبار السفن التجارية الصينية على تحديد معاملاتها التجارية معهم فقط .. كما تم الاتفاق على أن يكون لهما مجلس دفاع مشترك ونصت المادة العاشرة من الاتفاقية على أن(5)

(مجلس الدفاع سيستخدم في الحصول على التجارة مع الصين، وذلك لكي يعطل حركات الصينيين وينبههم إلى أنهم لن يتجروا مع أحد آخر سوانا) .

إلا أن هذا الاتفاق باء بالفشل بسبب احتكار الهولنديون للتجارة ، لذا اتصل التجار الإنكليز بنائب الملك البرتغالي في(جوا) للحصول على رخصة والسماح لهم بحرية التجارة مع شواطئ الصين الجنوبية(*) .. وفي نفس الوقت طالبوا الحكومة الصينية أن يسمح لهم بالتجارة كما هو الحال مع التجار البرتغاليين .. وبعد مشاورات عدة مع حاكم كانتون استطاع الإنكليز إن يحصلوا على رخصة إنشاء مصنع في كانتون ومركزا تجاريا في تنجيو على أن يكون ذلك تحت إشراف هيئة تسمى (تجار الهونج) وهي نقابة احتكار من رجال الأعمال الصينيين، وتم التأكيد على ذلك من خلال مرسوم أصدره نائب الإمبراطور في كانتون هذا نصه(6) :

(إن الإمبراطورية السماوية تعين الموظفين المدنيين لحكم الناس وتعين الحكام العسكريين ليرهبوا الجناة الأشرار.)

كما كان تجار الهونج يهيمنون على التجار الإنكليز فيمنعونهم من زيارة الحدائق العامة والجذف في النهر ودخول المدينة إلا بإشراف موظف صيني صغير(7) .

تغلغل الاستعمار البريطاني للصين

بقيت الحال على هذا المنوال حتى نهاية القرن الثامن عشر، عندما أرسل الملك الإنكليزي جورج الثالث بعثة إلى بكين سنة 1793 برئاسة لورد ماكارتي وهو يرفع علما مكتوبا عليه بالصينية " السفير الذ ي يحمل الجزية من بلاد الإنكليز إلى الإمبراطور تشين لنج " وعند مقابلته الإمبراطور رفض السجود له لكنه ركع على ركبة واحدة، واستقبل الإمبراطور السفير البريطاني بحفاوة عظيمة، لكن النتائج السياسية والتجارية لم تحقق وذلك من خلال الكتاب الذي بعثه الإمبراطور مع اللورد ماكارتي للملك جورج الثالث ينبئه إلى (8):

(أن إمبراطوريته تمتلك كل شئ بوفرة هائلة ولا ترغب في شئ من الخارج) .

وفي سنة 1816 جاءت بعثة ثانية برئاسة اللورد امهر رست الذي رفض السجود أمام الإمبراطور كما هو متعارف عليه .. لذا اضطرت البعثة إلى العودة دون مقابلة الإمبراطور(9) .

وبذلك لم يحقق الإنكليز أي نفوذ سياسي أو تجاري في الصين خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر. ويرجع السبب في ذلك إلى(10) :

أولا – الحكومة الصينية لم تهتم بالتجارة البحرية وتعد ذلك شيئا لا ضرورة له ويتنافى مع كرامة الصين .

ثانيا – الحكومة الصينية احتفظت بوحدتها السياسية حتى في أيام ضعفها السياسي.

ثالثا – دمج الزراعة الفردية بالصناعة اليدوية الفردية وأصبحت الأسرة الصينية هي الوحدة الأساسية في الإنتاج .

رابعا – كان الشعب الصيني يعاني من دفع الضرائب للحكومة ودفع إيجار أراضيهم.

وهكذا ظلت علاقات شركة الهند الشرقية الإنكليزية بالصين محدودة جدا تقتصر على شواطئ الصين الجنوبية في منطقة كانتون لاتتعدى المبادلات التجارية في مواد قليلة العدد مع فرض الضرائب الفادحة ومراقبة التجار . فالصين لاتستورد سوى الفراء والعقاقير الطبية وبعض المواد الغذائية التي تخدم الطبقة المترفة فقط، في حين إن

التجار الأوربيون يستوردون مقادير ضخمة من الحرير والشاي والأرز(11). وكان التعامل يكون بسبائك الذهب والفضة وهذا يعني استنزاف احتياطات الغرب من الذهب والفضة على المدى البعيد . لذا بدأ التفكير في العثور على شئ يقبل عليه الشعب الصيني ووضعت الحلول التالية لاتخاذ الإجراء المناسب لذلك أهمها(12) : –

١ -زيادة حجم صادراتهم إلى الصين من منتجاتهم الزراعية والصناعية .
٢ -زيادة صادرات الذهب والفضة .
٣ -إيجاد سلعة يقبل عليها الصينيون، تستخدم حصيلة بيعها في دفع أثمان البضائع الصينية .

ومن الطبيعي فإن الحل الأول لايجدي نفعا لضعف إقبال الشعب الصيني على السلع الأوربية، أما الثاني فهذا يعني استنزاف للموارد الأوربية من المعدنين الذهب والفضة . ويرجع الفضل في ابتكار حل للمشكلة البريطانية إلى البرتغاليين على أثر الاتفاق الذي حصل بن الطرفين في النصف الأول من القرن السابع عشر (كما ذكرنا سابقا) في مساعدة البريطانيين في معرفة أحوال الصين وما يحتاجه الشعب الصيني من المنتجات الأوربية .. فكانت مادة الأفيون الحل ألأنسب لشركة الهند الشرقية البريطانية في تعاملها مع الشعب الصيني لتحقيق الموازنة في التجارة من جهة وإخراج الصين من العزلة من جهة أخرى(13) . واتخذت إجراءات في سنة 1773 لاحتكار زراعة الأفيون في الهند خاصة في منطقة البنغال . وبذلك حققت الشركة هدفين رئسين من ذلك : الأول – ملء خزانتها بالذهب . والثاني دفع أثمان تجارتها بالصين(14) .

أرسلت الشركة أولى شحناتها من الأفيون إلى الصين سنة 1781، ثم أصبح بيع ألأفيون على نطاق واسع وارتفعت نسبة الواردات البريطانية إلى الصين خلال الفترة مابين (1818 – 1833) من 17 % إلى 50 % من مجموع الواردات البريطانية إلى الصين، وتقدر تجارة كانتون سنة 1831بمبلغ سبعة ملايين من الدولارات،وبلغت

التجارة عن طريق ميناء لنتن سبعة عشر مليونا كان حساب الأفيون وحده أحد عشر مليونا . وارتفع ما تستورده الصين من الأفيون سنة 1839 إلى ما يقارب 40 ألف صندوق وبلغ مجموع ما تسرب إلى الصين من الأفيون خلال الفترة ما بين 1820 – 1839 حوالي 899 , 213 صندوق دفع فيها الصينيون ما يقدر بمائة وثمانية وثمانين مليون دولار أمريكي(15) . وبذلك استطاع البريطانيون إقامة مناطق نفوذ واسعة في الصين مستغلين إقبال الصينيون على تعاطي مخدر الأفيون على نطاق واسع .

ويصدر الأفيون إلى الصين بطرق غير مشروعة وغير مباشرة، إذ إن الشركة كانت تبيعه في مزادات علنية في كلكتا في الهند ويتم تهريبه عن طريق لنتن (وهي جزيرة تقع عند مصب نهر كانتون) على أيدي تجار خصوصيي ن يعملون في شركة جار داين وماتيسيون ويستخدمون سفنا مسلحة متخذين من مانيلا قاعدة لهم، ولتشجيع المتاجرة بمادة الأفيون كانت الشركة تدفع مبالغ طائلة للسفن المتوجهة إلى الصين في موسم إنتاج الأفيون(16) ، متحدين القوانين الصينية في تحريم بيع هذا العقار إلى سكان الصين.

موقف الحكومة الصينية من تجارة الأفيون

شعرت الحكومة الصينية بقلق إزاء محاولات شركة الهند الشرقية المتعمدة لإجبار الشعب على شراء الأفيون وانتشار ظاهرة الإدمان الذي بات يهدد الاقتصاد الصيني فضلا عن تحطيم نفسية الشعب من خلال نشر تعاطي الأفيون بينهم، لذا عزمت الحكومة على اتخاذ اجراءت فعالة لإيقاف تلك التجارة .. فتم تعيين لين تز – هسيو نائب الإمبراطور في هيوكوالنج لما يمتاز به من مقدرة وكفاءة ووطنية وأمانة وحقده على الأجانب، مندوبا إمبراطوريا خاصا خولت له سلطات واسعة لاستئصال تجارة الأفيون (17).

وعند تولي لين المنصب أصدر عدة قرارات هدفت إلى تحريم تجارة الأفيون واتخذت إجراءات حاسمة وجريئة لتنفيذ هذه القرارات أهمها إغلاق معاهد ومدارس ومؤسسات البعثات التبشيرية المسيحية الأوربية ومحاصرة التجار البريطانيين في كانتون واستولى على ما بحوزتهم من أفيون واحرقه أمام الجميع في الثالث من حزيران سنة 1839 وادخل شركائهم من التجار الصينيين السجن .. ثم أخذ من التجار تعهدات بأنهم لم يواصلوا هذه التجارة المخالفة لقوانين البلاد(18).

وبعث لين رسالة إلى ملكة بريطانيا (فيكتوريا) وضح فيها أضرار تجارة الأفيون على الشعب الصيني أهم ما جاء فيها (19):

(إن ثروة الصين تستخدم لإثراء المتبربرين، فيحرمون الصينيين من نصيبهم الحق في خيرات بلادهم . فبأي حق يجلب المتبربرون السموم إلى الصين ليكفلوا لأنفسهم أعظم قدر من الأرباح الطائلة على حساب إحاقة أفدح الأضرار بنا . فأين ضمير جلالتكم !! إن الأفيون محرم في بريطانيا، فلم يهربه البريطانيون إلى الصين وغيرها . إن الصين تصدر إلى العالم كل ما هو نافع لشعبه، فما الداعي لأن يجلب التجار الأجانب إلى الصين كل ما يؤذيه ؟ إن الصين تزود العالم بالشاي والراوند والمنسوجا ت على اختلافها والجنزبيل والقرفة والمصنوعات الخزفية . وفي مكنة الصين الاستغناء عن المنتجات الأجنبية .. .) . ثم يضيف محذرا تجار الأفيون قائلا(20):

(إن الحكومة الصينية قد قررت حماية الشعب الصيني من أخطار الأفيون ففرضت عقوبة الموت على كل من يبيعه أو يدخنه . وإنني لأناشد جلالتكم العمل من أجل السلام بين البلدين وان تقوم علاقتهما على أساس وطيد من المحبة والمنفعة المتبادلة)

سارت الأمور في بادئ الأمر كما تشاء الحكومة الصينية ولكن لفترة محدودة، إذ بدأ الخلاف بين تجار الشركة ونائب الإمبراطور على اثر مقتل رجل صيني من قبل بحارة بريطانيين ومطالبة الأخير تسليم المجرم (21)، إلا إن المشرف على شؤون الرعايا البريطانيين (تابيير) رفض تسليم المجرم .. لذا خيرته الحكومة الصينية

إما تسليم المجرم أو رحيل جميع السفن البريطانية الراسية في نهر كانتون خلال ثلاثة أيام، فإن لم تفعل تضطر السلطات الصينية إلى تنفيذ الأمر بالقوة(22).

حرب الأفيون الأولى

بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية وبدون انتظار لأية مفاوضات مع الجانب الصيني، تطلق مدافعها على السفن الصينية الحربية وإغراقها وطالبوا الصين بالتعويض عن الأفيون المستولى عليه وسارعت لمهاجمة شواطئ الصين واستولت على مدينة كانتون وشنغهاي وأموي تنجيو (23). ثم توغلت القوات البريطانية إلى داخل البلاد ونهبت المدنيين وذبحتهم كما انتهكت حرمة المقدسات الصينية .. وينقل لنا المؤرخ بانيكار ذلك نقلا عن صحيفة تشينيز ريبوزيتورى (إن جماعة من الضباط البريطانيين وغيرهم اقترفت أعمال الهمجية قصدا وعمدا بأن زارت برج الخزف، يحملون الفؤوس والأزاميل والمطارق واقتطعوا منه كتلا كبيرة حملوها معهم محدثين بذلك أضرارا كبيرة)(24).

وهكذا خسرت الصين الحرب التي سميت في التاريخ باسم (حرب الأفيون الأولى) لسوء تقديرها قوة الأسطول البريطاني في البحر من جهة وعدم وجود تنظيم موحد للمقاومة الوطنية وافتقارها للأسلحة الحديثة من جهة أخرى(25)، اضطر بها لقبول معاهدة مهينة سميت ب (تانكنج) عقدت في 29 آب سنة 1842 . وتتكون المعاهدة من 13 بندا أهم ماجاء فيها(26) :

١ -دفع غرامة حربية كبيرة تعويضا لخسائر الحرب وثمن الأفيون الذي أحرقه لين تز هسيو، وقدر التعويض بمبلغ واحد وعشرين مليون دولار أمريكي

٢ -تسليم هونك كونك للبريطانيين، التي أصبحت قاعدة للبريطانيين عسكرية وسياسية واقتصادية .

٣ -فتح خمس موانئ رئيسية للتجارة البريطانية وهي كانتون، شنغهاي، أموى، تنجيو وفوشو . والسماح للرعايا البريطانيين بالإقامة و العمل فيها بحرية .

٤ -محاكمة الرعايا البريطانيين أمام محاكم بريطانية خاصة .
٥ -استثناء الرعايا البريطانيين من التشريعات الصينية .
٦ -تطبيق مبدأ الدولة الأولى بالرعايا على بريطانيا . حصلت بريطانيا من خلاله على كل الامتيازات التي منحت للدول الأخرى .
٧ -تتعهد الصين بأن لاتتقاضى رسوم استيراد على السلع الأجنبية يجاوز 5 % من قيمتها .

وفي 18تشرين الأول 1843 تم الاتفاق على عقد بروتوكول ملحق بالمعاهدة يسمح للدول الأوربية الأخرى الحصول على امتيازات مماثلة أهمها (27) :

١ -تحديد الرسوم الكمركية على الواردات والصادرات إلى ومن الصين .
٢ -السماح للقناصل الإنكليز بمحاكمة رعاياهم .
٣ -السماح للسفن الحربية البريطانية بالرسو في الموانئ الخمسة لحماية التجارة البريطانية .
٤ -إقامة معسكر دائم للدول الأوربية في عدد من المدن الكبرى .
٥ -السماح للسفن الأوربية بالملاحة في المياه الصينية دون قيد .
٦ -إجبار الصين على تأجير مناطق من أراضيها للدول الأوربية .

ومن الملاحظ على هذه الاتفاقية والبروتوكول الملحق معها إنها لم تشير إلى الأفيون المسبب الأول للحرب . وهذا يعني أن هناك أسبابا أخرى كثر عمقا من قضية الأفيون، أدت إلى قيام الحرب بين الصين وبريطانيا نذكر منها(28) :

١ -تعارض زعم الصينيين بالسيادة العليا مع فكرة السيادة الوطنية لدى الغرب
٢ -تعارض النظام الصيني بشأن علاقات التبعية والخضوع مع نظام العلاقات الدبلوماسية في الغرب .
٣ -المواجهة بين الصين الزراعية المكتفية ذاتيا وبريطانيا الصناعية وسياستها التوسعية .

وفي 15 أيلول صادق الإمبراطور بألم على المعاهدة وأقرتها الملكة فيكتوريا في 28 أيلول 1843 وبذلك فرضت بريطانيا بقوة السلاح هيمنتها على شؤون الصين السياسية والاقتصادية حول ذلك يصف بانيكار نقلا عن مؤرخ صيني حديث(29): (أنه في كل أطوار المفاوضات كان البريطانيون يضعون الشروط ولا يكتبونها فقط بالإنكليزية بل بصينية ضعيفة، ومع أنه سمح بشئ من المناقشة والملاحظات على سبيل التأدب والمجاملة، إلا أن كل شئ كان ينفذ في النهاية كما طلبه البريطانيون أصلا مع قدر ضئيل من التغيير) .

وحذت الدول الأخر ى حذو بريطانيا في توقيع المعاهدات مع الصين منها المعاهدة الأمريكية في 3 تموز سنة 1844 والمعاهدة الفرنسية في 24 تشرين الأول سنة 1844 فكانت مكملة للمعاهدة البريطانية وشكلت بداية نظام المعاهدات في الصين عرفت بالمعاهدات غير المتكافئة لأنها فرضت على الصين وانتهكت حقوق البلاد الوطنية وسيادتها (30).

وإذا دققنا النظر في بنود تلك المعاهدات لوجدنا أن الغرض الرئيسي منها هو :

١ - القضاء على انعزال الصين بالقوة وتحطيم نفسية الشعب الصيني .

٢ - حرية التجارة مع الدول الأوربية

٣ - فتح الموانئ الواقعة على نهر اليانجتسي وامتداد الساحل وهي شنغهاي،تنجيو، فوتشو، أموى و كانتون .

٤ - رعاية الدول الأوربية للدين المسيحي وإنشاء مدارس تبشيرية ..أي منح الحرية للمبشرين المسيحيين .

وهكذا أثارت حرب الأفيون قضايا هامة كانت لها نتائج بعيدة المدى سياسيا واقتصاديا وعسكريا واجتماعيا، ونشئت طبقة جديدة من التجار ورجا ل ألأعمال كان لها تأثير سلبي على المجتمع الصيني .

حرب الأفيون الثانية

في سنة 1854 فتحت الدول الأوربية وعلى رأسها بريطانيا مفاوضات جديدة مع الحكومة الصينية لتنقيح معاهدة نانكنج وتحقيق أهداف أخرى تتمثل في(31) :

١ -حرية الدخول إلى جميع أجزاء الإمبراطورية .

٢ -حرية الملاحة في نهر يانجستى .

٣ -إنشاء علاقات دبلوماسية مباشرة مع بكين .

٤ -إباحة قانونية لتجارتي الأفيون والخنازير (وهو اسم يطلق على العمال الصينيين)(32) .

إلا أن المباحثات فشلت بسبب رفض الصين قانوني إباحة الأفيون والخنازير .. وكان معروفا لدى الأوربيون أن الصينيين لابد أن يرفضوا البند الأخير لأنه يمس كرامتهم، لذا حاولت بريطانيا وحليفتها فرنسا أن تحقق أهدافها تلك بالقوة وذلك بانتهاز فرصة لشن حرب أخرى على الصين ... وقد تحق ق لها ذلك في 8 أب سنة 1856 عندما استولى نائب الإمبراطور (منج تشن) في كوان تنج، على سفينة اسمها (.. السهم) يملكها شخص صيني اسمه (سسوآه تشنج)، يعمل تحت الحماية البريطانية التي فرضتها على النشاط غير القانوني لبعض الصينيين، ويحمل أشخاص مطلوبين للعدالة(33) .

وجدت بريطانيا في هذا العمل تحدي لها وتجاوزا على بنود المعاهدة، لذا طالبت بريطانيا بإجراء مفاوضات مباشرة مع بكين، إلا أن ألإمبراطور رفض مقابلة المبعوث البريطاني، ورغم محاولات نائب الإمبراطور في تيان تسن للتفاوض معهم إلا أن بريطانيا رفضت المقترح وأصرت على إجراء مباحثات في العاصمة بكين وباستقبال رفيع المستوى (34).

في نفس الوقت قامت القوات البريطانية الفرنسية باحتلال كانتون في أواخر سنة 1857 ونفي نائب الإمبراطور في كوان ننج إلى الهند .. وبسبب عدم قدرة الصين على مقاومة الاحتلال وافقت على التفاوض بتعيين ألأخ ألأصغر للإمبراطور (الأمير كانج) كمندوب عن الإمبراطور (35) .

جرت المفاوضات التمهيدية في بكين مع بداية سنة 1858 إلا إنها فشلت في تحقيق الأهداف، لذا تقدمت القوات البريطانية الفرنسية بمساندة روسية وأمريكية إلى بكين وهاجمت القصر الصيفي وأحرقته بعد نهبه . ويشير القائد الفرنسي (مونتوبان) إلى عظمة هذا القصر بقوله(36) :

" إنه كان على صورة لايستطيع أي شئ في أوربا أن يعطينا أدنى فكرة عن مثل ذلك الترف البالغ "

وترتب على هذه الحرب التي عرفت في التاريخ باسم (حرب الأفيون الثانية) عقد معاهدات جديدة مع الصين وهي معاهدة تينتسين سنة 1858 نصت على(37):

١ -فتح موانئ جديدة على نهر يانجتسى

٢ -الاعتراف بشرعية تجارة الأفيون .

٣ -دفع غرامة حربية من قبل الصين تعويضا عن خسائر الحرب .

٤ -مقابلة الدبلوماسيين بما يليق بهم .

٥ -التنازل عن قطعة أرض مواجهة لجزيرة هونك كونك .

6- ضمان حرية البعثات التبشيرية المسيحية التي كانت مقدمة للتدخل العسكري في الصين(38)

أما معاهدة بكين التي عقدت سنة 1860فقد نصت على (39) :

١ -إقامة بعثات دبلوماسية دائمة لكل من بريطانيا وفرنسا في بكين .

٢ -احتلال روسيا لبعض المناطق في الشمال الشرقي من الصين .

٣ -حصول روسيا على تجارية مهمة .

٤ -السماح للتجار الأوربيين بالتجارة داخل الصين دون دفع ضريبة المرور.

وهكذا فتح الطريق أمام الدول الاستعمارية الأخرى لعقد معاهدات مماثلة مع الصين مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا واليابان وروسيا،وتحولت البلاد إلى ساحة **للاستغلال** والنه ب ولم تتحرر منه إلا في سنة 1943 عندما ألغيت الامتيازات الأجنبية وكل المعاهدات غير المتكافئة على أثر عقد مؤتمر القاهرة(40) .

نتائج الاحتلال البريطاني للصين

يتضح لنا مما تقدم، إن الإمبراطورية الصينية كانت في منتصف القرن التاسع عشر تعاني من الضعف السياسي والعسكري والاقتصادي بسبب الاحتلال والامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا والدول الأوربية الأخرى وأمريكا، وأثبتت الأحداث ضعف أسرة المانشو الحاكمة وحقد الشعب عليها، خاصة الفلاحين منهم، لما كان يعانيه من ظلم اجتماعي واقتصادي في ظل نظام إقطاعي وبلغت الصين مرحلة خطيرة بسبب انتشار البطالة والكساد الاقتصادي واضمحلت التجارة المحلية أدت إلى حدوث مجاعة (41).

من جانب أخر،استطاعت بريطانيا وفرنسا (وأمريكا فيما بعد) بناء مستقرات في مناطق مهمة من الصين على أثر إنشاء المجلس البلدي في شنغهاي سنة 1869 للتحكم بالأمور الصحية والشرطة وجمع الضرائب، وخلال العشرين سنة تطورت المستقرات في شنغهاي حتى أصبحت دولة مدنية ذات سيادة مستقلة عن الصين وأصبحت المنطقة الممتدة بين تشنج وشنغهاي بمساحة تقدر بألف وخمسمائة ميل خاضعة للسيطرة البريطانية (42).

و من نتائج الاحتلال أيضا اقتطاع ولايات تابعة للصين أهمها كمبوديا وأنام ثم احتلال بورما العليا سنة 1886. وأقام البريطانيون كنائس مسيحية في مدينة يانج تشاو وأخرى فرنسية في معبد تيان تسن الذي كان قصر الإمبراطور(43)، وكان على بكين أن تواجه التوسع الياباني الذي بد ا واضحا في الحرب الصينية اليابانية (1894– 1895) للسيطرة على كوريا(44) .

وتجسد رفض الشعب لأوضاع الصين السيئة في القيام بعدد من الانتفاضات والثورات ذات أهداف اجتماعية واقتصادية أهمها ثورة التايبنج وحركة النيان في شمال الصين وثورة المسلمين في يونان جنوب الصين وشمالها الغربي وأغلب هذه الحركات كانت بزعامة جمعيات ثورية سرية عبرت عن أحوال الصين الداخلية والاستياء

الشعبي من النظام الإمبراطوري المتمثل في أسرة المانشو بسبب احتلال الصين من قبل بريطانيا والدول الغربية الأخرى من جهة وعدم مواجهتها للأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في البلاد (45) .

الخلاصة

لم يكن للدول الأوربية قبل القرن السادس عشر إلا قدر محدود من الاتصال مع الصين من خلال التبادل التجاري، إذ لم يكن لدى الصين حاجة لشراء السلع الأوربية . فالصينيون يملكون الحرير والأرز والشاي .. ومع بداية القرن السادس عشر توافدت الدول الأوربية إلى الصين طلبا للتبادل التجاري، وتعد بريطانيا أول دولة أوربية استعمارية نجحت في كسب مناطق للنفوذ في الصين بطرق غير مشروعة بعد فشل مشاريعها التجارية مع الصين، فلجأت إلى اعتماد تجارة الأفيون بعد أن احتكرت زراعته في الهند، ورغم صدور قوانين منعت من خلالها تجارة الأفيون إلا إنها لم تنفذ .

وتدخلت بريطانيا عسكريا لحماية مصالحها التجارية باستيلائها على عدة مدن أهمها كانتون وشنغهاي وبذلك بدأت حرب الأفيون الأولى (1839 – 1842)، وعندما وجدت الصين أنه لا جدوى من المقاومة طلبت الهدنة وتوقيع معاهدة نانكنج في 29 أب 1842 تنازلت فيها الصين لبريطانيا عن جزيرة هونك كونك وفتح خمسة موانئ أمام التجارة البريطانية وبنود أخرى كانت لصالح شركة الهند الشرقية البريطانية .

وفي سنة 1856 أرسلت بريطانيا حملة عسكرية إلى الصين بمشاركة فرنسا بسبب رفض الصين إجراء مفاوضات جديدة لتنقيح معاهدة نانكنج التي تضمنت إباحة المتاجرة بمادة الأفيون والخنازير (العمال الصينيين).

وترتب على هذه الحرب التي سميت حرب الأفيون الثانية (1856– 1860) عقد معاهدات جديدة أهمها معاهدة تينتسين سنة 1858 ومعاهدة بكين سنة 1860نصت على حرية التجارة بمادة الأفيون والخنازير ومواد أخرى أذل فيها الشعب الصيني.

وهكذا فتح الطريق أمام الدول الاستعمارية الأخرى لعقد معاهدات مماثلة مع الصين مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا واليابان وروسيا فتحولت البلاد إلى ساحة للنهب والاستغلال حتى عام 1943 عندما ألغيت جميع الامتيازات الأجنبية في الصين وكل المعاهدات الغير متكافئة بعد سلسلة من الإحداث السياسية الثورات. أهمها ثورة التايبنج وحركة النيان في شمال الصين وثورة المسلمين في يونان جنوب الصين، أغلبها كانت بزعامة الجمعيات الثورية السرية .

المصادر والهوامش

١ – يوسف محمد السلطان، عبد علي الخفاف، الجغرافية الإقليمية للقارات، أسيا، أفريقيا،استراليا، البصرة، 1986، ص ص 18،32. وانظر المصدر : جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، دمشق، 1958.

2 – ك.م. بانيكار، أسيا والسيطرة الغربية، عبد العزيز توفيق جاويد ، مصر، 1968، ص 72–74 .

2- John Wilson Lewis ,Leader ship in communist China, new York ,1953, pp20- 22 .

3- Balmer , Embassy to china , V.1.,London , 1797, pp8-9 .

٤ -بانيكار، مصدر سابق، ص80.

*– السواحل الجنوبية معظمها حجرية لاتتجمد وتشكل موانئ طبيعية حيث يمكن فتحها أمام الملاحة طول السنة الأمر الذي يقدم ظروفا جغرافية لتطوير النقل البحري .

٥ -بانيكار، مصدر سابق، ص80.

6- Balmer ,Op. cit. p 10 .

7- Marshall Broom Hall ,The Chinese Empire ,New York , 1907 , pp52-57 .

8- Ibid ,p54.

٩ – بانيكار، مصدر سابق، ص82

10 ميلاد المقرحي، موجز تاريخ أسيا الحديث والمعاصر، بنغازي، 1999،ص33 .

11 – بانيكار، مصدر سابق، ص124 .

12– فؤاد محمد شبل، حكمة الصين، دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أ قدم العصور، ج1، مصر، 1968، ص72.

13– بانيكار، مصدر سابق، ص128.

14-F. Wakeman, The Fall of Imperial china , New York,1975, pp105-110.

15– شبل، مصدر سابق، ص 73. المقرحي مصدر سابق، ص 38 . بانيكار، مصدر سابق، ص128.

16 -F. Wakeman , Op. Cit , pp115 .

17– ووبن، الصينيون المعاصرون، ج 1، ت عبد العزيز حمد ي، الكويت، 1996، ص150.

18- Rhoads Marphry ,The Outsiders , The Western Experience in India and China , Michigan , 1977 , pp50-75 .

19- Marshall , Broom hall , The Chinese Empire , New York ,1907, pp72-77.

20– شبل، مصدر سا بق، ص74.

21– بانيكار، مصدر سابق، ص133 .

22- المقرحي، مصدر سابق، ص40 .

23- Rhoads , Op . Cit . p70 .

24- بانيكار مصدر سابق، ص 135.

25- F. Wakeman , Op. Cit p 115 .

26- Op . Cit , p 118 .

27- C. Y. HUS . Immanuel , The Rise of Modern China ,New York , 1973 , pp29-30 .

28- رمزي زكي، حرب الأفيون وليبرالية التجارة، مجلة العربي، العدد 35 : 409، ديسمبر ،1992، ص ص30-.35.

29- بانيكار مصدر سابق ص 136 .

30- C.Y. HUS . Immanuel , Op .Cit . 30 .

31- بانيكار، مصدر سابق، ص139 .

32- وهي تجارة رقيق جديدة ينقل فيها العمال الصينيين بالقوة إلى المزارع الضخمة والمناجم وقد بلغ عدد العمال الذين نقلوا إلى سان فرنسسكو وحدها في سنة 1863 حوالي 100,467,71، أغلبهم من المخطوفين، وأعدم نائب الملك في كانتون في سنة 1859 ثمانية من مختطفي العمال . وكان البريطانيون يمارسونها في تحد ظاهر لأوامر الحكومة الصينية ومشاعر الأهالي .. للتفاصيل ينظر المصدر :

Tsi C.Wang , The Youth Movement in China , London , 1922 , pp176-188 .

33- Rhoads , Op. Cit . p125-130.

34- Ibid , p130.

35- بانيكار، مصدر سابق، ص 140 .

36- المصدر نفسه .

37- المقرحي، المصدر نفسه، ص43 .

38- إبراهيم خليل احمد وعوني عبد الرحمن السبعاوي، تاريخ العالم الثالث الحديث، الموصل، 1989، ص91 .

39- زكي، مصدر سابق، ص 35.

40- رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين،تطور الأحداث لفترة ما بين الحربين 1914- 1945، بيروت،1986،ص428.

41- أريك وولف، الحروب الفلاحية في القرن العشرين،ت أكرم الرافعي، بيروت 1977، ص ص120-125.

42- بانيكار،مصدر سابق، ص183.

43- المصدر نفسه، ص188.

44- عبد الحميد بطريق، التيارات السياسية المعاصرة، بيروت، 1974،ص308-310.

45- F. Wakeman , Op.Cit .pp143-146 .

Abstract

The European states before the sixteenth century had just limited communications or relations with China via commercial exchange, because China did need to buy the European commodities, they had silk, rice tea….. At the beginning of the sixteenth century, the European countries visit China seeking for the commercial exchange. British is considered the firs European colonial state that succeeded in gaining the dominating areas in China via illegal ways after the failure of its commercial projects with China, so it referred to opium trade, when it monopolized its agriculture in India, though there were laws that prevent opium trade.

Britain used it military power to protect its interests, occupying several cities , the most important of which are Cantoon and Shinghahi, so opium first war began in 1839, 1842, when china found that resistance is useless it required a truce and concluded Nankinge treaty on 29th August 1842, by this treaty, China abandon Hong Kong